المصـــدر : الحياة
التـــاريخ : 07-06-2008
الصفحـات : 16
العـــدد : 16500
المسلسل : 112

مكة المكرّمة والحوار الإسلامي العالمي

■ «وأَذِّنْ فـي الناس بالحجّ يأتوك رجـالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين مـن كلّ فجٍ عميقٍ ليشـهدوا منافعَ لهم...» (سـورة الحج: ٢٧). نعم، لقـد أتت الوفود الزاخـرة الى مكة المكرّمة هذه المـرة، ليس للحج، لكن ليشـهدوا منافع لهم بالفعل. لقد جاؤوا بدعـوة من رابطة العالم الإسـلامي الى مؤتمر للحوار، يجددون فيه علاقتهم بدينهم وأنفسهم وبالعالـم من حولهم. فدعوة خادم الحرمين الشـريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لحوار الأديان ما كانت بنتَ سـاعتها، بل سبقتها زيارة لـه لبابا الفاتيكان، ثم انصرفت الجهـات المختصة بالمملكة للإعداد لإنفاذ دعوة الملك العامة والشاملة على أثر كلمة له أيضاً في مناسبة للحوار في شأن العلاقات مع اليابان. وهكذا فقد كانت الدعوة الملكية دعوة لتغيير المسار في العلاقة بالنفس والعالم. وهذا هو ما ظهر في كلمة الملك في افتتاح مؤتمر مكة الذي يحضره مئات المفكرين العرب والمسلمين. شخَّص الملك المشـكلة التي تواجه المسلمين اليوم في أنها مع التطرف الديني الذي أدّى الى انقسامات داخلية في العالمين العربي والإسـلامي، والذي أدى أيضاً الى ظهور رؤية مُقبضة للعالم تعتبـره خطراً على الديـن والأمة. ولذلك فقـد آن الأوان بعد أحداث العنف والانقسـام بداخـل أمتنا ومجتمعاتنا ومواجهـات مع العالم، لمراجعة النفس، وصنع توجه جديد ومنفتح لمناقشة قضايانا العامة، والانصـراف لترميم علاقاتنا بالعالم، وجلاء الغبار عن الوجه الوضاء للدين الحنيف، وللأمة السمحاء.

إن الأمر اليوم، لا يتمثل في تشـكيل وفد للحديث مع الكاثوليك أو البروتستانت أو الديانات الآسيوية، فقد سبق للمملكة أن أرسلت وفداً للفاتيكان آخر الستينات من القرن الماضي، كما أن العرب والمسلمين الآخرين أفراداً وجماعات، سـبق أن خاضوا نقاشـات وجدالات مع الكنائس المسـيحية منذ الخمسـينات. الأمر اليوم يتمثّل في تحديد مَن نحن وماذا نُريد، وكيف نتصور العلاقات داخل الأمة على شـتى مذاهبها وتوجهاتها. فقد مضت علينا عقود توقّف خلالها الحديث في ما بيننا، وشـاع التشدد والتشـرذم والانقسام، واعتبرت كل فرقة أن الإسلام مبدد، وأنها تريد اسـتنقاذه بالحل الذي ترتئيه هي، وليس أي أحد آخر. أما الآخر الداخلي أو الخارجي فهو مهدد بالقتل أو التكفير أو العمليـات الانتحارية. وبحجة أن الآخرين معتـدون حُكماً وواقعاً، فلا حاجة للحديث معهم، بل لا بد من مواجهتهم وبشـتى الوسـائل. وعلـى فرض أن الآخر الخارجي تهديد بالفعل، فكيف تسـتطيع فرقة من المسلمين – وهي تتصرف ليس بالنيابة عنهم، بل بالوكالة عن الله عزّ وجلّ وباسم شريعته! – أن تقرر إدخال الأمة في حروبٍ لا تتوقف، وبالداخـل والخارج، وكل ذلك لإسـقاط التهديـد، بينما هي تزيد في الواقـع من الأخطار على الأمـة والدين، وتضع العالم كله في مواجهة المسلمين والإسلام.

لقد ذكرتُ في مقالة سـابقة أن الحوار مهمة ومسـؤولية. وقد كان الأمـر من قبل أن المهمَّد لدينا هو الشـأن الدنيـوي والدولتي. وبدلاً مـن الانصراف الى التغيير والتنمية من أجل النهوض بذاك الشـأن، انصرف المتحمسـون للإسـلام للدفاع عن الدين المهدَّد وليس بناء الدنيـا الصالحـة. وكانت النتيجة أن اختلَّ الشـأنان معـاً: الدنيوي والدينـي، وأُضيفـت لذلك، أو وقع في تداعياته، تلـك الحملة العالمية على الإرهاب الذي التصق بالإسـلام، فقيل إنه الإرهاب الإسـلامي! وهكـذا فإن الحوار اليوم من أجل إصلاح الشـأنين هو مهمة عاجلة، وهو مسؤولية تجاه الإسلام وتجاه العالم. فدينُنا هو هويتنا وهو جهر وجودنا، نحن جزء من العالم، لا نستطيع الانفصال عنه (فنحن خُمس سكانه!) أو نهلك ونتشرذم. ويقول الصارخون والمتصدّرون في وسائل الإعلام والحزبيات: إنّ الشـأنين القومي والإسـلامي ضائعان، لولا حركات الممانعة المُقاتلـة. والذي يعرفه العقلاء والقوميون والأُصلاء أنه حتى مشـروع تحرير فلسـطين إن لم يُعَد مشروع الأمة كما كان، فلن تكون له قيمة فضلاً عن استحالة تحقيقه!

ينصرفُ علماءُ مؤتمر الحوار الإسـلامي بمكة خلال الأيام الثلاثة للمؤتمر لإلقاء محاضراتهم عن الحوار وقضاياه، والإسلام ومُشكلاته، ومسـتقبل العلاقة بالذات والعالم، في التأصيل والآفاق. وفي ذلك ولا شك محاولة لنشر وعي جديد بالمسائل كلِّها، والتي غابت طوال أكثر من عقدين، وسـط تشرذمات المشـاريع والخطط، وثنائيات النضال والتحريـر، واتهامات الخيانة والتكفيـر. ولذا فالحوار مهم ومهم جداً بالنسـبة الى المسـلمين في ما بينهم، لأنه يمثّل حاجة لتغيير الرؤية المقبضة التي سـادت عن أنفسـهم وعن العالم من حولهم. وهو مهم ومهم جداً للتواصل مع شباب الأمة، الذين أضاعت الخلافات صوابهم ووضعتهم في مجالات ومساحات التجاذب والتمزّق. فجلاء المفاهيم، أياً يكن الذين يرفضون ويسـتنكرون ولا يقبلـون، ضروري من أجل مسار جديد للوحدة، ومسـارات جديدة للتفاهم. والحوار أخيراً مهم ومهم جداً لصورة أُخرى لنا في العالم وأمامه. ففي الوضوح والضوء نأتـي لحوار الأديان والثقافات، ونحن نعـرف والآخرون يعرفون، مَن نحـن وماذا نريد، بعد طول نزاع وتجاذب، وهوانٍ على النفس والغير. وسينهمك كثيرون في وضع نصوص واشتراطات على النفس والآخر، وحريـة الـرأي والاختلاف محـدودة وينبغي أن تبقـى مَصونة. لكن الاتجـاه الجديد لا يمكن إيقافه أو منعـه، بعد أن صار ضرورة حياة ووجود. ذلك أن الوقت ليس وقت الاشتراكات، بل هو وقت فتح المنافذ المسـدودة، والآفاق التي غادرها الضوء منذ زمن. فنحن لا نسـتطيع البقـاء، رهن المخاوف والهواجس، لا نقدم إلا انتحاراً، ولا نتراجع إلا خوفاً وإحجاماً. ومن حولنا وفي أوسـاطنا شـبان يضعون أنفسـهم

المصـــــدر : الحياة

التـــاريخ : 07-06-2008 العـــدد : 16500

الصفحـات : 16 المسلسل : 112

وأمتهم في مواطن النزاع والتفرقة، ويخوضون في الدم والدمع لا لشيء إلا لأنهم يرون الحق وحسب في آرائهم الخاصة، ومنازعهم الآنية، ويذيقون أمتهم الغصص، في الوقت الذي تتداعى علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة. وقد تساءل الملك في افتتاحه لمؤتمر الحوار الإسلامي العالمي عن أسباب ضياع التسامح والاعتدال اللذين عرف بهما الإسلام، في الزمن الذي يكون المؤمن القابض على دينه كالقابض على الجمر. وبروز تحديات الانغلاق والجهل وضيق الأفق.

نحن لا نريد أن نُخيف العالم ولا أن نخاف منه. وبين هذين الحدّين القاصيين يقع خط الوسط المستقيم، الذي لا تريد أمتنا مغادرته أياً تكن الأسباب، لأن في ذلك ضياع الانتماء والمصالح، والإصغاء للغلو باسم الحرص عليهما بالذات، وإنما ينال الذئب من الغنم القاصية. ومع تسديد الرؤية في المرحلة الأولى، يأتي التوجه لمحاورة الآخرين والإصغاء لآرائهم ومطامحهم بعيون دين الدعوة والتذكرة، وبين الأمة المستجيبة والأخرى المدعوة. والله سبحانه وتعالى يدعونا الى التسابق في فكر الخير وعمله: «فاستبقوا الخيرات». والخير إذا نما وتكاثر فاض على المحيط، وإذا ضمر وانكمش، جرى التماسه بعيداً من أمتنا ومسالكها، كما يحدث منذ زمن لقد تراجعت فكرة الجماعة، وتحاول الانشقاقات الثائرة أن تحلّ محلّها. ورسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يقول: الخير بي وبأمتي الى يوم القيامة. فبالخير الذي نتملكه وننميه نريد المشاركة في العالم والمسلم يدعو في صلاته أن يريه الله الحق ويرزقه اتّباعه، وأن يريه الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه: «أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». صدق الله العظيم.

رضوان السيد